Vol 08 / Issue 32 / june 2024
ISSN 2568-6739 p389-422

Journal of social sciences
Democratic Arabic Center For Strategic, Political & Economic Studies, Germany-Berlin

Explanatory models of health and disease according to the socio-anthropological

Saadia djedili *
Badj-mokhtar Univrsity Annaba-Algeria

doc.sam2019@gmail.com

https://orcid.org/0009-0006-4515-7994

Received: 26/02/2024, **Accepted**: 28/05/2024, **Published:** 10/06/2024

Abstract: Health and illness within the established discurrsive circulation have often remained hostage to presentaton and treatment within the space of official medicine both in science and practice,where has this therapeutic msedical style, which is a globally unified approach,destroyed the legitimacy of discourse when presenting various health problems ?However,the issues and problems it raises,whether related to understanding the disease or safety standards whether or not what is related to treatment methods, not to mention the patient's world and the aspects of sufferinge it raises as an anthropological experience related to the patient's subjectivity,in addition to the doctor-patient relatonshig and the aspects of reading it carries of a sociocultrual nature through the extension of therapeutic medical practice,all of these exceptions are essentially related to the nature of the health and disease phenomenon,including the emergence of the socio-anthropological approach and explanatory models of a social and cultural nature with the aim of covering the various dimensions of the health phenomenon and its syndromes of disease and treatment

Keywords: sociological anthropology, illness, health, treatment

*Corresponding author

المجلد:08/العدد 32/جوان 2024
ISSN 2568-6739 ص389-422
مجلة العلوم الإجتماعية
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين

النماذج التفسيرية للصحة والمرض وفق المقاربة السوسيوأنثربولوجية

سعدية جديلي *

جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

doc.sam2019@gmail.com

https://orcid.org/0009-0006-4515-7994

تاريخ الاستلام: **2024/02/26** - تاريخ القبول: **2024/05/28** - تاريخ النشر: 2024/06/10

ملخص: غالبا ما ظلت الصحة والمرض ضمن التداول الخطابي المؤسس رهينة الطرح والمعالجة ضمن فضاء الطب الرسمي علما وممارسة أين افتك هذا النمط الطبي العلاجي وهو النمط الموحد عالميا شرعية الخطاب عند العرض لمختلف المشكلات الصحية إلا أن ما تثيره من قضايا وإشكالات سواء ما تعلق منها بفهم المرض أو معايير السلامة والسواء أو ما تعلق بمسالك وسبل العلاج هذا ناهيك عن عالم المريض وما تثيره تجربة المرض كتجربة أنثربولوجية من أوجه معاناة تتصل ببعد الذاتية ضمن تجربة المرض، إلى جانب العلاقة؛ طبيب-مريض وما تحمله من أوجه قراءة ذات طبيعة سوسيوثقافية عبر امتداد الممارسة الطبية العلاجية، كل هذه الاستثناءات بالأساس تتصل بطبيعة الظاهرة الصحية والمرضية ومنه العلاجية الأمر الذي أدى إلى بروز المقاربة السوسيوأنثربولوجية ونماذج تفسيرية ذات طبيعة إجتماعية وثقافية من بابها الإحاطة بمختلف أبعاد الظاهرة الصحية ومتلازماتها من مرض وعلاج

الكلمات المفتاحية: السوسيوأنثربولوجيا، المرض، الصحة، العلاج

* المؤلف المرسل

مقدمة:

مقاربة المشكلة الصحية في الحقبة الزمنية المعاصرة والتي يتسم خلالها المحيط المجتمعي عبر نطاقه الواسع بالعديد من التغيرات في بناه السوسيوثقافية المنبثقة ضمن سياقات تاريخية متباينة تبرز فيها فاعلية ميكانيزمات عدة تتمايز بين الإجتماعي والثقافي، الاقتصادي والسياسي المعرفي؛ العلمي التقني والرقمي ما أنتج ثورات فكرية تباينت عبر مختلف دوائر العلوم والفكر والفلسفة ومنها علم الطب، ليتميز الفكر في القرن 20م والواحد والعشرين بتأكيده على مسألة الوجود العلائقيRelationnel*كسمة بنيوية ملازمة لطبيعة الظواهر لينتج هذا التوجه الفكري العالمي الجديد فهم مغاير للمشكلات، على رأسها المشكلة الصحية وما يرتبط بها من قضايا المرض وثقافة العلاجCulture Thérapeutique ليكون الطرح لموضوع فهم الصحة والمرض والعلاج مرتبط في وظائفيته المعرفية والمنهجية والعلمية بضرورة الارتكاز على مقاربة نظرية تفسيرية لها مقدرة استيعاب مختلف جوانب وأبعاد الموضوع والإحاطة بمختلف متغيراته الظاهرة والضّمنية وما تحتويه من مؤشرات ذات دلالات تحليلية وبنائية تساهم في المعالجة الرصينة للظاهرة الصحية وما تنطوي عليه من إشكالات، وهو ما يتحقق ويتاح من خلال عمق النظر في الثقافة المُتصوّرة والمعاشة جماعيا في التاريخ، وضمن الأبعاد الإثنولوجية Démontions Ethnologique (**)وهي تؤسس (الثقافة) للسلوك الصحي ولآلية التعامل مع النّسق الاستطبابي وللنسق الطبي في حد ذاته، الأمر الذي ترتّب عليه وعبر السياقات التاريخية تطوير في المعارف الطبية تضمّنت في توجّهاتها الجديدة الإقرار بالعمليات الاجتماعية في قضايا الصحة والمرض والعلاج، ما ترتب عليه توجهات معرفية تنادي بضرورة اعتبار الطب la médecine أحد العلوم الاجتماعية ومنه مناداة بارسونز إلى جمع وربط كل من علم الاجتماع والطب والأنثرويولوجيا من أجل تقويم أعمق وتصوّر أوسع لعلم السلوك ومنه فهم السلوك الصحي والمرضي والعلاجي من

(*)– نتاج تلاقح المعارف المتعلقة بالإنسان في حقول وفضاءات معرفية متعددة منها: التطورات الجديدة في الأدب والفن والفلسفة، إلى جانب حقل التاريخ، والسيميوطيقيا، وكذلك السياسة وعلم الاجتماع، التحليل النفسي والأنثرويولوجيا وانسحبت التأثيرات إلى مجال "النظرية الاجتماعية"

(**)– الأبعاد الإثنولوجية : هي الفئات التي يمكن تصنيف الظواهر طبقا لها، وبحسب رأي ايريكسون هناك ثلاثة أبعاد تكنولوجية هي: الزمان، المكان، والوحدة الاجتماعية، وهو ما يترتب عليه وجود النظرة التاريخية والجغرافية والاجتماعية، لتكون بذلك الثقافة تنطوي على مفارقات كثيرة، بسبب تنوعاتها وظلالها، ومن الجوانب الهامة للبحث الثقافي تتبع هذه المفارقات وتفسيرها (هلتكورانس، 1984، صفحة 12)

خلال "النظرة التكاملية العامّة" وهو ما يذهب إليه أيضا راندولف Randolph، الذي نادى بضرورة الجمع بين علم الاجتماع والأنثرولوجيا ليكون ومن خلال منظوراتهم المتباينة، اثراء التفسير الذي ترتكز عليه المحاولات البحثية وهي تعرض لمعالجة المشكلة الصحية ومتلازماتها من مرض وعلاج، وبدوره يطرح ديبانكر Dipanecrre فكرة ضرورة إنشاء وقيام نظام فكري فرعي وأطلق عليه اسم سسيوأنثروبولوجيا المرض، من شأنه فسح المجال أمام طرح أعمق وتفسيرات أوسع لقضايا الصحة والمرض

بالتالي وللنقاط السابق عرضها خلال هذه المقدمة لموضوع النماذج التفسيرية للصحة والمرض وفق المقاربة السسوسيوأنثربولوجية تبرز الوظائفية القصوى لهده الدراسة ذات الطابع النظري في بيان مدى أهمية المنظور السوسيوأنثربولوجي في مقاربة ومعالجة ظاهرة المشكلة الصحية وما يرتبط بها من قضايا المرض والعلاج ؛المتجاوزة في طبيعتها لحدود البيولوجي إلى ماهو ثقافي اجتماعي ورمزي؛ أين تتيح النماذج التفسيرية المضمنة في الاتجاه السوسيوأنثربولوجي الوقوف على عمق وحقيقة طبيعة الظاهرة ببيان مختلف العوامل والإبعاد المشكلة لها ما من بابه بعث الإستراتيجيات الملائمة للتعامل معها؛ ومن أجل بيان وتأكيد أهمية الموضوع، أدرجت هذه الورقة البحثية مشتملة على مقدمة عامة تناولت طرح لفكرة عامة موسعة حول الموضوع وأهميته ووظائفيته بمجال العلوم الصحية وكان بعدها الانتقال لمحاور الدراسة أين أشتمل المحور الأول مدخل تصوري منهجي تناول عرض لمشكلة الدراسة ببناء تساؤلها البحثي المتناول لجوهر الموضوع ؛كما تم الوقوف على أهمية الدراسة والمنبثقة على خلفية الرؤية السوسيولوجية النقدية للممارسة الطبية المرتكزة على التصورية الوضعية لقضايا الصحة والمرض، ليتم الانتقال إلى تحديد أهداف الدراسة في البعدين العلمي والعملي ما تتأكد وفقه أهمية الموضوع خاصة وقد اشتملت الأهداف على جملة مؤشرات كان لها الدور التفكيكي لأبرز القضايا المضمنة في الطرح المقارباتي للموضوع؛ إلى جانب العرض عبر هذا المحور لمفهوم السوسيوأنثربولوجيا كمقاربة تتسم بها دوائر الأبحاث المعاصرة؛ ثم الانتقال في ذات السياق المفاهيمي من خلال أسئلة تعريفية إلى تحديد مفهمي لكل من الصحة والمرض من زاوية المعالجة السوسيوأنثربولوجية تُبين القيمة المعرفية للمقاربة السوسيوأنثربولوجية في تناولها للقضية الصحية المرضية وإحالتها على المعطى الإجتماعي الثقافي كمجال أفسح لتشكل وضعيات

الحياة على رأسها حالة الصحة والاعتلال ما يتيح فهم المشكلات الصحية في أبعادها البنيوية العميقة، هذا ليتم اختتام هذا المحور بالتطرق للمنهج المعتمد عبر هده الدراسة النظرية لتوضيح طبيعة الدراسة أين تم اعتماد البحث المكتبي الوثائقي، لتتواصل المحاور المعالجة لامتدادات الموضوع أين تناول المحور الثاني؛ النماذج التفسيرية السوسيوأنثربولوجية للعوامل الفوق طبيعية للصحة والمرض، وتم تفصيله في جملة عناصر موضحة للأبعاد الفوق الطبيعية المضمنة في التصورات الثقافية والاجتماعية للمشكلة الصحية، وهي تصورات اشتمل عليها الجانب العقائدي للإنسان منذ المجتمعات البدائية إمدادا للحديثة والمعاصرة؛ أين كان العرض لنظم عقدية رمزية كالكهانة والسحر والتنجيم، والإشارة في عموم طرح للطبيعة الروحية لعديد الأعراض المرضية، أما المحور الثالث : فقد تناول الحديث عن الأبعاد السيكولوجية والبيئية للصحة والمرض، ليتم من خلالها توضيح أهمية كل من الجوانب النفسية والوجدانية بأوضاع السوي والمرضي؛ إلى جانب البعد العقلي في ارتباطه بعديد العمليات الإدراكية في علاقتها بالحالات الشعورية وانعكاساتها على الفيزيولوجيا وحدوث المرض، بروز ما يعرف بالإمراض البسيكوسوماتية وتم توضيح هذا من خلال نموذج : تدخلات الجسم–عقل، وفي سياق البعد العقلي والنفسي؛ تم العرض لنموذج العلاج بالطاقة أين تمت الإشارة إلى موضوع غاية في الأهمية يحيل الإهتمام إلى سمة الإبداعية كسمة أنثربولوجية تميز الحي البشري تفرده بالقدرة على التفكير والتركيز والتخيل والتأمل، وكلها عمليات عقلية نفسية لها الأثر البالغ في إحداث الصحة والمرض وترتبط بها الطرائق العلاجية المثبتة بتقارير الأبحاث المعاصرة عبر دوائر علوم جديدة كعلم البرمجة اللغوية العصبية والطب التخاطري والعلاج بالطاقة والعلاج بالمعنى، كما عرضت الدراسة عبر هذا المحور إلى الأهمية البالغة والقصوى لأهمية العامل البيئي في علاقته بكل من الصحة المرض والعلاج من خلال العرض لعامل التغذية كأبرز العوامل المضمنة في البيئة الطبيعية الثقافية للفرد ذات العلاقة المباشرة والغير مباشرة في تجربته الصحية والمرضية وكان التفصيل في جوانب المحيط البيئي والإنسان والمشكلة الصحية عبر هذا العنصر لتخرج الدراسة بعد هذا التدرج في المحاور إلى بناء جملة من النتائج المحققة لأهدافها المسطرة وإشكالها المطروح، وانتهت بعد عرضها للنتائج بخاتمة محوصلة للموضوع فاتحة لأفق الاستشراف البحثي حول الوظائفية المعرفية والمنهجية البالغة للمقاربة السوسيوأنثربولوجية في مقاربتها للصحة والمرض

وما تتيحه من تطوير للكيان المعرفي الطبي وكذا الممارسة الطبية من خلال تغذية مشروعه بالمعطيات الأنثربولوجية –السوسيولوجية الحاملة لعديد عناصر مشكلته المعرفية ما يُمكّن الطب من تحقيق أهدافه ليس فقط العلمية بل الإنسانية وهو الهدف الأمثل لمشروعه المعرفي الممثل في حفظ الحياة بصون صحة الإنسان بكل أبعادها

أولا :مدخل تصوري منهجي:

مشكلة الدراسة:

يتغير الخطاب العلمي ويتمايز عبر مختلف المجالات المعرفية التخصصية وفق ما يرتكز عليه من تصورية Conceptualisme تغذيه في البعدين المفهمي والمنهجي Les dimensions conceptuelles et méthodologiques تماشيا وطبيعة موضوعه القائم، أين تُشكل طبيعة الموضوع المرتكز الإبستيمولوجي الأساسي الباعث للبراديغم التفسيري عبر كل علم، وبمجال الصحة يُثار عميق الجدل في شأن مقاربة المشكلة الصحية Problème de santé وما يرتبط بها من حديث حول المرض والعلاج؛ خاصة والصحة تُعد من المواضيع ذات الطابع الفلسفي ويُعد المرض كما يطرح الطبيب الإبستيمولوجي جورج كانغليهم تجربة أنثربولوجية Expérience anthropologique بامتياز وأمام ضيق الأفق التفسيري القائم عبر مجال علم الطب كعلم منوط بدرجة أولى بتفسير الظاهرة الصحية في قراءته للمرض وفق النموذج الحيوي Modèle biologique ومنطلق تصور الإنسان الآلة –L'homme machine تبرز الحاجة الماسة أمام تعقد وقائع المشكلة الصحية إلى مقاربات أكثر استغراقا وإحاطة بطبيعة الظاهرة المتجاوزة للبعد المادي البيولوجي، لتبرز أمام هذا الافتقار المعرفي المنهجي الأهمية القصوى لمقاربة متعددة التخصصات Approche pluridisciplinaire وهي سمة المقاربة السسوسيوأنثربولوجية المقاربة التي تجمع بين المبحثين الأم كل من الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا على حد سواء في تلاحم منهجي معرفي يجمع في القراءة التحليلية والمعالجاتية للمشكلات كل من البعدين الثقافي والاجتماعي والتناول الماكرو والميكروسوسيواوجي؛ ما يتاح من خلاله قراءة مشكلات الصحة عبر الفرد والمجتمع والثقافة، الفرد بما هو تشكل للعقل–جسم والمجتمع بما يفرضه من محددات اجتماعية أو سوسيوديمغرافية والثقافة بما هي قيم وأبعاد

رمزية؛ ومن خلال هذا النمط من المقاربة تكون القراءة المتكاملة لظاهرة الصحة ما يميط اللثام عن عمق طبيعتها وحقيقتها ويتأسس وفقه البناء الأنسب لفهم المرض Comprendre la maladie وتحديد المسلك العلاجي Cours thérapeutique وكذا نجاح التخطيط الصحي Planification de la santé

–فكيف تنظر المقاربة السسوسيوأنثربولوجية لظاهرة الصحة ومتلازمتها من مرض وعلاج وما أبرز النماذج التفسيرية القائمة عبرها؟

وهو التساؤل المركزي للدراسة والمنوط به تحقيق أهدافها وتأكيد أهميتها من خلال ما سينبثق عنه من نتائج تحليلية تعاود في سياق هدف علمي أشمل المساهمة في توسيع تصورية العلم الطبي بتنقيح مفاهيمه على رأسها الصحة؛ المرض والعلاج وفي بعد تكميلي لهدف الدراسة الأشمل في شقه العملي تطمح الدراسة من خلال ما سيترتب على تساؤلها البحثي إلى تدعيم أرضية الممارسة الطبية بتقنيات ومناهج وآليات علاجية جديدة تنبثق في سياق فتح مناقشة المشكلة الصحية على الإجتماعي والثقافي.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية موضوع هذه الدراسة النظرية والتي تُعنى بشان البراديغم التفسيري للصحة والمرض خارج نطاق النموذج البيولوجي؛ بانتقاء المقترب السوسيوأنثربولوجي بنماذجه التفسيرية المتباينة لطرح رؤية إجتماعية وثقافية معالجة؛ للشأن الصحي والمرضي ومنه العلاجي لتتجلى أهمية الموضوع في بيان محدودية العامل أو البعد البيولوجي المعتمد عبر المعقولية الطبية القائم عليها الطب الغربي الحديث بشان فهمه وتفسيره للظاهرة سواء الصحية أو الباثولوجية، لتطرح الدراسة من خلال تساؤلها البحثي رؤية إبستيمولوجية جديدة تنبني على أرضية النقد السوسيولوجي للفهم والممارسة الطبية بدءا بالنظر في مرتكز الفعل الطبي؛ ويمثله "المرض" ضمن المعقولية الطبية لتُقوضه الرؤية السوسيوأنثربولوجية من المرض إلى "المريض" أين تحيل بذلك السوسيوأنثربولوجيا الفهم والتصور العلمي للصحة والمرض على الجوانب الذاتية بالتجربة الصحية المرضية خاصة أمام حقائق ونتائج الأبحاث الميدانية بمجالي علم الاجتماع

الأنثربولوجيا والتي تقف على الأثر البالغ والعميق للرمزية الإجتماعية لكل من الصحة والمرض أين تؤثر التصورات الثقافية للأفراد في فهمهم للصحة والمرض على المسار العلاجي المعتمد من طرف المريض، ليكون بذلك اختيار النمط العلاجي قائم على طبيعة تصور الفرد للمرض ،هذا كما تتجلى أهمية هذه الدراسة النظرية بإيجاد الخلفيات التفسيرية التي من بابها استيعاب واقع التعددية العلاجية Therapeutic pluralisme الماثلة بالواقع الصحي المرضي بعديد دوائر العيش للجماعات البشرية.

أهداف الدراسة:

تتأسس أهداف هذه الدراسة ووفقا للروح الجديدة للسوسيولوجيا كما أشار إليها ألان توران في مؤلفه "براديغما جديدة لفهم عالم اليوم" وهي تستحضر المهمة السوسيولوجية الأمثل ومفادها الكشف عن المظاهر السلوكية وفهم طبيعتها خارج جاهزيات الخطاب بل عرضها كما تمثل بأرض الميدان، لتهدف وفق ذلك الدراسة من خلال عرضها للمشكلة الصحية وفق المقترب السوسيوأنثربولوجي لتحقيق جملة من الأهداف كالتالي :

أهداف الدراسة في بعدها العلمي:

تندرج أهداف الدراسة في مسعاها العلمي إلى تغذية البراديغم التفسيري العلمي للطب برؤية سوسيوثقافية أكثر انفتاحا في استيعاب عوامل الصحة وأسباب وأعراض المرض على غرار التصورية الطبية –البيولوجية– الكلاسيكية المحدودة النطاق بحكم منطقها الوضعي وما يشوبه من مثول لإديولوجيا علمية تحول دون تحقيق الفهم الأمثل لحقيقة الصحة والمرض ما يحول دون تحقيق أهداف الطب في بعده الإنساني؛ هذا ويشتمل المسعى العلمي لأهداف الدراسة كذلك في إثراء النظرية السوسيولوجية والانثربولوجية على حد سواء بجملة من الأدوات في البعدين التصوري والمنهجي تنبثق من الوقوف على مثول عديد العناصر الإجتماعية والثقافية تشتمل عليها الكلية السوسيوثقافية للمجتمع، كتفعيل الفهم عوض التفسير في تناول السلوك الصحي والمرضي القائم على تنشيط العامل الرمزي وكذا الوقوف عند مفاهيم جديدة تتعلق بصور الفاعل الإجتماعي ضمن الفضاء الصحي والمرضي والعلاجي كالحديث عن الفراغ الأنطولوجي كمفهوم

بسيكو سوسيولوجي ناتج عن حالات الاستلاب المرضي لدى الأفراد، كذا التعدد الهوياتي كمفهوم نفس–اجتماعي؛ ناتج عن عيش حالة صراع الأدوار لدى المريض ضمن سياقه الإجتماعي، المناعة البسيكوثقافية كمفهوم ناتج عن تفعيل العناصر الأنثربولوجية في عملية التكيف مع الحالات المختلفة للأمراض ...الخ من مفاهيم تُتيحها المقاربة السوسيوأنثربولوجية وهي تعالج ظاهرة المشكلة الصحية في حدودها الصحة؛ المرض والعلاج

أهداف الدراسة في بعدها العملي:

تأسيسا على البعد العلمي لأهداف الدراسة ينبني البعد العملي باستغلال نتائج الأبحاث في المجالات التطبيقية المتعلقة بميدان العلوم الصحية وذلك باستثمار المعالجة السوسيوأنثربولوجية في تطوير آليات العمل الصحي في البعدين الوقائي والعلاجي ومثاله، إعطاء الأهمية لأثر العادات والتقاليد المتعلقة بنمط العيش كأبعاد ثقافية في علاقتها بالثقافة الصحية سواء في العلاج أو الوقاية، ومثاله طرق التغذية، عادات النوم، النظافة العامة والشخصية، ممارسة الرياضة ثقافة التنزه والسياحة، العادات والمعتقدات الدينية وأثرها في توجيه السلوك الإجتماعي كأثر الصلاة الصدقة، النذور، الصوم، الزكاة كذلك أثر معتقدات كالحسد والعين الشريرة، السحر والشعوذة وهي داخلة في التصورات الإجتماعية للصحة والمرض بالأثر السلبي والإيجابي في حالات الصحة والمرض...الخ بالتالي تتوجه الجهود الإصلاحية القائمة عبر الميدان والمجال الصحي ومن خلال العمل التنسيقي متعدد التخصصات بوضع الخطط العملية القائمة على نتائج الأبحاث بما فيها المجال السوسيولوجي الأنثربولوجي وتغذيه الرؤية المقاربتية، وهي الصورة المختصرة عن أهداف الدراسة في البعدين العلمي والعملي بالإضافة للنقاط التالية:

–توصيف الميكانزيمات الإجتماعية والثقافية الفاعلة في ظاهرة المشكلة الصحية وما تشتمل عليه من وقائع السواء و الاعتلال

–تفعيل المنطق الاستدلالي من خلال القضايا المعرفية التي تشتمل عليها المقاربة السوسيوأنثربولوجية؛ من أجل استنتاج النماذج التصورية الجديدة الكامنة في التمثلات الثقافية للصحة و المرض، وبناء تصوريات أكثر استيعابا لطبيعة وحقيقة ظواهر الصحة والمرض

–السعي لتغذية البراديغم الطبي للطب الغربي كنمط علاجي موحد عالميا يُعنى بالصحة و المرض، من خلال الصور المتباينة لخبرات التجربة الصحية المرضية؛ المضمنة في القراءة الثقافية والاجتماعية المتاحة من خلال المقترب السوسيوأنثربولوجي القائم على رصد حالات ميدانية تباينت عبر الامداء الحضارية لمختلف الجماعات البشرية

–تأسيس الإهتمام المعرفي المنهجي بالعناصر الأنثربولوجية داخل تجارب الصحة والمرض لما تتضمنه من أثر فاعل في مسيرة التشافي ولفت الانتباه لأهمية تلك العناصر الأنثربولوجية على رأسها تأثير الرموز ؛ذلك في تحقيق الفاعلية العلاجية

–الوقوف من خلال النماذج التفسيرية للصحة والمرض المضمنة في المقاربة السوسيوأنثربولوجية على تنوع الأنماط الطبية المرتكزة على قوة عامل الخبرة أو التجربة الذاتية للأفراد والجماعات في مواجهة واقعة المرض والدعوة إلى تثمين الأنماط الناجعة منها

–إحالة الموقف البحثي المُعنى برصد تمظهرات المشكلة الصحية ومتلازماتها ومن خلال الإشارات المضمنة في نماذج المقاربة السوسيوأنثربولوجية إلى ضرورة إجراء الدراسات البينية والمقارنة للأنماط الطبية من أجل استغراق مختلف الأشكال الإستطبابية المحتواة في ثقافات الشعوب لغرض توسيع الأطر التصورية لعلم الطب وفق ما يتماشى وطبيعة الظاهرة الصحية والمرضية

–الوقوف من خلال الإحالات المعرفية والمنهجية المضمنة في المقاربة السوسيوأنثربولوجية بتباين نماذجها التفسيرية على اتساع مجالات الخيار العلاجي.

منهج الدراسة:

انطلاقا من الطبيعة النظرية لموضوع الدراسة والمتمحور حول المقاربة السوسيوأنثربولوجية للصحة والمرض، ارتكزت المعالجة على:

البحث المكتبي الوثائقي: ويعد من أبرز المناهج المعتمدة بالدراسات النظرية، وهو نمط من الأبحاث التي تقوم على جمع المعلومات والوثائق حول الموضوع المستهدف، بالرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع الموثوقة ويعتمد على المواد المنشورة في التقارير والوثائق المماثلة المتوفرة في المكتبات العامة والمواقع الإلكترونية، والبيانات التي تم الحصول عليها من الدراسات

الاستقصائية التي تم إجراؤها بالفعل (villegas، 2024) وكان تفعيل هدا النمط البحثي بعد تحديد موضوع البحث تم الانتقال إلى تحديد مصادر البحث، الحاوية للبيانات اللازمة للمعالجة، ثم الذهاب لجمع البيانات بطريقة أكثر ضبط وتنظيم ،وبعدها التقدم أكثر في عملية تصنيف البيانات من خلال عملية الجمع والمقارنة تحقيقا للتصفية وتجنب التكرار ثم الذهاب بعدها لعملية تحليل البيانات باستحضار المشكلة المطروحة للمعالجة وأهدافها المرتقبة التحقيق، لتنتهي المعالجة ببناء نتائج الدراسة بعد خاتمة الدراسة القائمة

وتفصيلا حول الطرائق المعتمدة نذكر:

–البيانات المتاحة على الانترنيت: أين تم الرجوع إلى مواقع الويب المتوافرة على عديد المعلومات الراجعة لتقارير الأبحاث والدراسات لمراكز الأبحاث و الجامعات وحتى الشركات والمؤسسات مع التركيز على المواقع الموثوقة

–المكتبات: أين تم الإطلاع على عدد من المصادر والمراجع والعناوين ذات الصلة بالموضوع وتمت مراعاة معايير انتقاء كالنظر بالإصدار من ناحية الحداثة والجدة

–المؤسسات التعليمية ،على رأسها الجامعة أين كان التوظيف للبيانات والمعلومات الواردة في مقررات الدروس المتعلقة بمقياس النظرية السوسيولوجية والانثربولوجية

وكان الاشتغال على القراءة التحليلية الإستنتاجية لمختلف المعطيات المستقاة من المصادر والمراجع المشار إليها، من أجل معالجة إشكال الدراسة المطروح وتحقيق أهدافها، مع الإشارة إلى الدور البارز والأهمية البالغة التي اشتملت عليها بعض العناوين لتقارير وأبحاث ميدانية متعلقة بالموضوع كتلك المتناولة لأنماط الإستطباب الشعبي، والصحة ضمن تقارير العمل الميداني والتصورات الإجتماعية للمرض لدى شعوب المجتمعات المسماة بدائية وكذا المجتمعات التقليدية الخ مما ورد بالدراسة والتي أعطت سمة الواقعية للبحث رغم كونه في طبيعته يُعد دراسة نظرية

ثانيا : المقاربة السسوسيوأنثربولوجية والصحة والمرض

في مفهوم السوسيوأنثربولوجيا: Dans le concept de la socioanthropologique

هي تلك الرؤية التي تقترح من خلالها أشكال أخرى لقراءة الواقع تكون منفتحة على كل فهم جديد، مركزة على الفردي والجماعي في تحولاتهما وتقاطعاتهما المؤدية لبروز ما يسميه "بوفيه" "بنى الممارسة الكشفية" وحتى "المجموعات السكانية المتماسكة منطقيا" ولو كان وجودها مؤقت (meranie, p. 10)

السوسيوأنثربولوجيا أي فهم للصحة ؟ Anthropologie sociologique Quelle compréhension de la santé

تتوافر أدبيات كثيرة على طرح فكرة الطبيعة الإجتماعية للصحة والمرض بل ثمة من ينظر كون العلاج أو الدواء يعد بامتياز علامة اجتماعية جد مهمة Le remède est ainsi marque distinction sociale impotente (micolier, 2015, p. 48)

هو ما أسس لضرورة انبثاق المقترب السوسيوانثربولوجي؛ كمنحى تصوري يتيح إمكانية القراءة متعددة الأبعاد للظاهرة الصحية أين يُطرح في فهم الصحة كونها الحياة في صمت الأعضاء La santé c'est la vie dans le silence des Organes (Dufrisne, 2006, p. 05)، وهو المنحى المادي وفق النموذج البيولوجي؛ ومن زاوية أخرى تطرح وجهة النظر النفسية حسب فرويد " الإنسان السليم أو السوي هو الذي بإمكانه أن يُحب و يعمل La personne normale est celle qui peut aimer et travailler (Dufrisne, 2006, p. 05) " تعبير أدبي يطرح في الصحة كونها غياب ضجيج البدن والنفس Des Bruits du corps et de L'âmeتعدد وجهات النظر يحمل على ضرورة توسيع المفاهيم التقليدية في الصحة والمرض élargir les conceptions traditionnelles sure la santé et la maladie، ففي طرح جد مهم للأنثربولوجيا الصحة والمرض؛ يشار إلى ضرورة عدم تضييق نطاقهما في العلامات العضوية Symptômes Organiques، بل ضرورة قراءتهما ضمن الكل من خلال مركب من المعارف العلمية للإنسان Synthés de savoirs Scientifiques sur L'Homme (Trombly, 2006, p. 08) أي قراءة وفهم المشكلة الصحية وما تعلق بها من علاج كظاهرة كلية وهو ملمح مقارباتي تتوافر عليه المقاربة السوسيوأنثربولوجية.

وجه المقاربة السوسيوأنثربولوجية للصحة قائم على جملة ركائز تفسيرية عميقة حيث تنظر للإنسان ككل متكامل تتفاعل عناصر شخصيته (بيولوجية وعقلية ،نفسية واجتماعية) ما تتعدد

معه أساليب العلاج ويتعقد ويتعمق معه مفهوم الصحة والمرض، كذلك تفهم المقاربة الإنسان كأسمى الكائنات الحية شأنا وقيمة ليتمايز الفهم لطبيعته كموضوع لعلم الطب ضمن المقاربة السوسيوأنثربولوجية مقابل الرؤية البيوطبية، وفي مواصلة لبلورة رؤيتها تُركِز سوسيولوجيا وأنثربولوجيا الصحة على فردية الإنسان وعموميته أو جماعيته في ذات الحين لتُوسِع أفق النظر الطبي للتَّعامل مع الظاهرة المرضية وِفق البعدين الذاتي والاجتماعي؛ ما يتأكد معه ضرورة مَحوَرة الفعل الطبي على جزئية المريض لا المرض، لتنتقل سوسيولوجيا وأنثربولوجيا الصحة عبر انشغالها بموضوعات الصحة والمرض ومنه العلاج من مستوى المعالجة الميكروسوسيولوجية إلى الأفق الأوسع عبر الماكر وسوسيولوجي؛ أين تجعل من الصحة والمرض مسؤولية مباشرة على عاتق المجتمع كونها كظواهر تُتبني ضِمن السِّياق الاجتماعي وهو ما يتَّضح جليا ضِمن مفاهيم الرعاية الصحية Prévenance sanitaire بامتداد عواملها ومفهوم كل من الرعاية الطبية و الخدمة الصحية Services sanitaire بامتداد أبعادها الثقافية Culturelle والمهنية Fonctionnelle ناهيك عن العوامل الاجتماعية الاقتصادية Les enjeux sociaux–économique، مايترتب عليه مأسسة الممارسة العلاجية وفق هذه الرؤية الماكروسوسيولوجية ضمن القطاعات الثلاث للثقافة؛ القطاع الاجتماعي والقطاع المادي والقطاع الرمزي فعبر هذه القطاعات الثلاث يقوم الواقع الاجتماعي وفق منطق تفاعلي عبر مختلف ميكانيزمات عملية الحياة الاجتماعية Processus sociale الفضاء الخام الحامل لكل الممارسات الإجتماعية بما فيها الممارسة الصحية pratique de la santé

كيف يقرأ المرض ? Comment et lue la maladie :

تذهب السوسيوأنثربولوجيا في طرحها كون النموذج التفسيري لمرض ما يرتكز على رصد لعلامات وأعراض يمكن من خلالها التعرف على المرض وتشخيصه، كذلك معرفة أسبابه وكيفية علاجه والأعراض الفسيولوجية للمرض والتكهن أو التنبؤ بما سيؤول إليه ،كما يضيف (كليمان) قد يكون لدى الأفراد نماذج تفسيرية غامضة Des modèles explicatifs ambigus لأمراضهم ترجع لخبرات المريض Expériences des patients السابقة أو للأمراض المنتشرة بالمجتمع وقد ذكرت الأنثربولوجيا الطبية كون النموذج التفسيري هنا، يثير العديد من التساؤلات حول أنماط السلوك العلاجية وبعض الملامح الأخرى (الجوهري و شكري، 2001)،

كما تعطي الدراسات السوسيولوجية والانثربولوجية في اهتمامها بالمرض قيمة موضوعية تحليلية للّغة المحلية للسكان الأصليين وفي توصيفهم لحالاتهم الصحية وأنماطهم الإستطبابية أين يشتمل خطاب الشخص المريض تشفير ثقافي متعدد الدلالة للمشكلات الصحية يساعد فهمه وتحليله على فهم سياقات المرض وهو ما يغيب في الفهم والممارسة الطبية بمجال الطب الغربي الرسمي؛ وفي هذا السياق تشير دراسة أقيمت في إفريقيا بعنوان " Maladies Remèdes Et Langue En Afrique Centrale"، ومن خلال الملاحظات الميدانية التي ترصد آلية عمل عدد من الأطباء والممرضين الحاملين لنموذج الطب البيولوجي الغربي تُسجل عملية الرصد الميداني إسقاط الممارسة الطبية لهؤلاء الأطباء والممرضين لجملة من العناصر الأنثربولوجية المهمة المتوافرة بالمجتمعات المحلية التي يعملون عبرها والتي من بابها توسيع أفق الفهم الطبي ومنه الممارسة العلاجية؛ ومن بين تلك العناصر الأنثربولوجية تفاصيل تتعلق بالسكان المحليين منها :

-مصطلحات ولغة المرض لدى المرضى

La terminologie de la maladie dans le lange de leurs patients (potentiels)

-شعور المريض والتصنيفات المحلية لعديد أصناف المرضي

La perception et des catégorisations locales des différentes affections pathologiques

-الطريقة التي من خلالها يُحلل المرضى أسباب اختلالاتهم وترتبط بالطريقة التي من خلالها يحكمون على مدى ملائمة العلاج الغربي للأمراض

La manière dont les malades analysent les causes de ces troubles et par conséquent la manière dont ils Von juger l'adéquation entre maladie et Remède occidental (Lolce J, p. 10)

-عدد غفير من الأدوية والعلاجات المحلية المعتبرة في استعمالاتها وفعاليتها خاصة أسماء نباتات طبية في اللهجات المحلية

Des très nombreux remèdes locaux de leur préparation, leur utilisation, leur efficacité surtout des 'noms de plantes présumées médicinales dans les langues locales

-الأسباب التي تدفع بالمريض للجوء إلى الطب التقليدي رغم أولوية الطب الغربي

Des raisons qui poussent le malade à s'adresser à la médecine traditionnelle plutôt qu'à la médecine occidentale (Lolce J, p. 10)

وفي مواصلة لعرض القراءة السوسيوأنثربولوجية للمرض يُصور الفهم الأنثربولوجي المرض في علاقته بالعامل الايكولوجي والكوسمولوجي ليطرح عبر القراءة التحليلية لتأمل الظاهرة؛ كون تلك العلاقة للإنسان بالطبيعة والمحاطة بهالة المقدسAura sacrée أرست أفقا بسيكوأنطولوجي للمرض مولدة ظواهر علاجية تحمل عمق الشعور الديني أين أرست العلاقة بين المرض وقوى ما بعد الطبيعة لدى الإنسان الأول، بروز نماذج تحتوي السمة العلاجية كالشامانية والأيروفيدا بل تنتشر فاعلية المقدس حتى يومنا هذا بالعالم الحديث و المعاصر فمن صورة عبادة الأسلاف Culte des ancêtres والتي تقع ضمن الممارسات والتصورات أو التمثلات الإجتماعية*[1] Les pratiques et le représentations sociales للصحة والمرض كعادات جماعية أكثر استقرارا Plus stables كما يذكر دوركهايم Durkheim إلى صور ممارسات طقسية أخرى كالزار وزيارة الأولياء الصالحين والتمسح بالأضرحة، وتقديم النذور وإخراج الصدقات وإقامة الصلوات وغيرها من الممارسات الداخلة في الطقوس الشعائرية ذات البعد العقدي الديني، أين شكل الدين Dette أبرز العناصر الثقافية الباعثة للمركب الطقسي الحامل لتصور المرض والعلاج في آن واحد وهو ما تبرز نتائج الأبحاث الأنثربولوجية المتناولة للأنساق الطبية الشعبية أو الإثني-طبية Ethnomédecine (الإبراهيمي)

كما ورد في كتابات تايلور وسيلجمان وفريزر وفي العام 1930 أجرى بحث حول أصول ومصادر المكونات الثقافية للأنساق الطبية ومنذ ذلك الحين فإن الأفكار المتعلقة بالمرض والممارسات العلاجية اعتبرت جزءا مهما في الثقافة ، وهذا ما يبرز عند العرض للنماذج

1* - التمثلات الإجتماعية représentations sociales :مجموع منظم من الآراء و الاتجاهات والاعتقادات والمعلومات المختلفة المتعلقة بموضوع أو وضعية ما (JEULIN, 2014, p. 72)

التفسيرية عبر نسق وفضاء الطب الشعبي حيث ستشمل العديد من العناصر التراثية والثقافية في بناء هذه النماذج والأطر التفسيرية

ثالثا: النماذج التفسيرية السوسيوأنثربولوجية للعوامل الفوق طبيعية للصحة و للمرض

Facteurs Les Modèles Explicatifs socio- anthropologique de Surnaturelle de la santé et de la maladie

في تقرير بحثي مفصل في موضوع الطب التقليدي بمنطقة الزائير la médecine traditionnelle au Zaïre المقدم من طرف المركز الدولي للتطوير بكندا؛ تُطرح إشارة هامة حول توافر السجل الطبي الإثنوغرافي للساكنة على معتقدات جماعية مشتركة ذات وظيفة علاجية شعائرية Des logiques associatives similaires fonctionnent dans le registre des traitements rituels (Ahluwalia & Méchin, 1979, p. 28)

تلك العلاجات الشعائرية تُوظفها المجموعات القاطنة بالمنطقة لمواجهة مختلف الأمراض، وما يميز الدستور الطبي المحلي سمة القراءة التشخيصية للأمراض التي تذهب في قراءتها لأعراض وأسباب المرض إلى إدخال العوامل الطبيعية

والفوق طبيعية في الفهم والتفسير وتتسم طبيعة العلاج عبر الممارسة الشعائرية بقوة العامل الروحي أو النفسي في عملية العلاج

Conception de type naturaliste dé la maladie et de ses causes qu'un désir d'agir au niveau des cause non naturelle et de mettre en branle l'action positive de forces et d'esprit qui viendront renforcer l'efficacité des traitements (Ahluwalia & Méchin, 1979, p. 28)

فقد عرضت الأدبيات الأنثربولوجية لنماذج علاجية عديدة من صورها نعرض الآتي:

1- مدخل السمات أو الذرات المنفصلة (كليمنس) Atonised Traits

وضح كليمنس وفو رست توزيع السمات الثقافية المتعلقة بالصحة والتحكم في المرض، وتم تحديد خمس سمات رئيسية لأسباب المرض في المجتمعات الغير صناعية وهي: السحر

الأسود Sorcery، ثم اقتحام بسبب المرض عنوة Tntrusion of disease اقتحام الروح، Spirit وهي كلها سمات معبرة عن الثقافة تحدد إطار المرض وتؤسس وفقه المسلك العلاج (الجوهري و شكري، 2001)

2-مدخل الفكر العقائدي الديني : Introduction de la pensée Doctrine religieuse

بين العقلانية أو الذهنية واللاعقلانية أو الوجدانية يطرح كل من تايلر Taylor وسبنسر Spencer وفريزر Frazer تفسيرا للسلوك مرتبط **بالشعور الديني،** وفي سياقه تقع دلالات تفسيرية للإصابة بالمرض ورؤى للمخارج العلاجية، فكان بذلك الدين كسمة أو كعنصر ضمن الثقافة في أصله يرجع للمحاولة التي بذلتها الشعوب لإضفاء مغزى على العالم الذي يعيشون فيه وعلى العمليات البيولوجية الخاصة بهم والمشتملة على جملة تحولات تنتظم وتيرة العيش للأفراد وتتضمن (تحولات من النهار إلى الليل (بيولوجية النوم)، والتحولات من الحياة إلى الموت (بيولوجية الحياة)، وتجربة الأحلام والرؤى (عالم الرمز والمتخيل)، ثم علاقات السببية بين الأحداث (السعي لفهم عالم الطبيعة الميكانيكية).

إلى جانب طرح **تايلر** لاستنتاجه كون نمو الجانب الروحي والأفكار حول الروح، نشأت من تقدير الإنسان للفروق بين الحياة والموت، وبين الحالات من حالات اليقظة états des vigilances وأخرى حالات النوم Etats des sommeilأين توصل الإنسان إلى الاعتقاد بأن الروح تستطيع الانفصال عن الجسد والاستمرار بعد الموت وتحتفظ بالقوة لحماية أسرته (مان، 1999، ص237) معتقد سيطور عنه فكر عبادة السلف- فكان لنمو الشعور الديني بروز السلوك التعبدي Comportement dévotionnel بتباين تاريخ الأديان من الطوطمية Totémisme إلى ديانة التوحيد la Religion du monothéisme ، وفي سياق الفكر الديني طرحت قراءة للمرض ترسمها العلاقة مع الرموز التعبدية Symboles de dévotion لينتج بذلك المرض عن الخطيةPéché وارتكاب المعصية وكسر الطابوBriser le tabou، فيسلط المرض بالفرد كعقوبة Comme punition على المعصية وتبرز عبر هذا المستوى أساليب العلاج الروحيةMéthodes de guérison spirituelle (صلوات ، نذور Vœux وقرابين arquebuse مشروبات روحية Boissons spirituelles ممارسات طقسية متعددة بتعدد

الثقافات تحمل العديد من السمات والعناصر الثقافية المترجمة للأبعاد الدينية الروحية في الفكر الاجتماعي.

3- مدخل الكهانة والسحر:Introduction a la divination et la magie

كون المرض قد لزم الإنسان ضمن وجوده الأول فكان خاضع في قراءته وفهمه وتشخيصه وعلاجه لملامح الحياة الاجتماعية والثقافية، وفي هذا السياق يطرح **فريزر** كون السحرTalisman بُعد من مراحل التطور العقلي Développement mental التي مرت بها البشرية وكان سابقا للدين والعلم أين أعتقد الإنسان أن العالم يعمل بوسائط تشبه القوانين وامتلاك الإنسان للمعادلة الصحيحة لعمل هذه الوسائط يمكنه من معالجة الأحداث في العالم (مان، 1999)

وفي مقدمتها حدث المرض، وفي ذات السياق يطرح Rivers في عمله الطب السحري الديني Médecine Magiqueكون السحر يعد من أبرز العناصر الثقافية التي ميزت الحياة الاجتماعية للشعوب الأولى وكان يستند إليه لفهم المرض والعلاج وأبرزت أعمال Evans Pritchard 1937، حول"العين والتبصر والسحر" لدى مجتمع الأزندي مكانة التصورات السحريةReprésentations magiques في الثقافة العلاجية Culture thérapeutique وأوضح من خلاله علاقة المرض والنسق الطبي للمجتمع مع الكلية السوسيوثقافية، وبالتالي توضيح أشكال حياة الجماعة من تنظيم اجتماعي واعتقادات وطقوس (محمد، 2010)

وأوضحت النظريات الوظيفية في الدين functional Theories Of Religion وجمعت إليه السحر الوظيفة، التي يقوم بها الدين للفرد والجماعة، حيث يرى مالينفسكي Malinovski كون في الدين والسحر معا؛ معينا للفرد على تحمل مواقف الضغط والقلق فالشعيرة الدينية بإمكانها إن تجعل المصابين بفجيعة ما. أناس قادرين على إعادة تأكيد وحدتهم الجمعية، والتعبير عن أعرافهم وقيمهم المشتركة، تلك التي يعتمد عليها قيام الجماعة المحلية (مان، 1999، ص276) ويطرح في ذات السياق كون الدين قد يكون مكملا للمعرفة العلمية الامبريقية

حيث يُضفى نوعا من الدلالة المفهومية على المجالات التي لا تستطيع هذه المعرفة الوصول إليها.

كما يبين التراث الأعظم تأثيرا في مجال الفكر الوظيفي عن الدين، والمنحدر من فكر إميل دوركايم Durkheim، في عمله المشهور" الأشكال الأولية للحياة الدينية Elementay Forams Of The religions، التسوية بين الدين والتماسك الاجتماعي La cohésion sociale حيث تعلم العقائد والشعائر من حيث الدور الذي تؤديه في استقرار حالة الفرد والجماعة وتنمية التضافر الاجتماعي (مان، 1999، ص276)

ومن جهته يذكر رادكليف براون في الاحتفالات الدينية Célébrations religieuse (في شكل الرقص الجماعي Danse de groupe أو الإنشاد الجماعيCollective Récitationأمرا ينمي الوحدة والانسجامHarmonie وله وظيفته في تقوية التضامن الاجتماعي، كما تعبر الأساطير والخرافات التي تشتمل عليها مختلف العقائد الدينية عن؛ القيم الاجتماعية لمختلف الموضوعات التي لها تأثيرها الأساسي في الحياة الاجتماعية، ويتضح عبر هذا الطرح بروز الدور الوظيفي عبر السلوك الديني في تحقيق الصحة ومجانبة المرض من خلال ما يؤمنه الشعور الديني من استقرار نفسي إلى جانب منظومة القيم التي تشتمل عليها المنظومات العقائدية (التعاون والتضامن، الصبر، الصدق، المحبة، النظافة الإخلاص ..الخ) – في الشريعة الإسلامية– وانعكاسات ذلك على نسيج الحياة الاجتماعية أين يمتد تأثير الشعور الذي يتجاوز البعد النفسي الفردي إلى تحقيق التوازن عبر الصعيد الإجتماعي، وهذا ما تؤكده العلوم الحديثة يذكر كينجزلي دافيزKingsley divies عند طرحه كون المعتقدات الدينية تشكل الأساس للأهداف التي تمثل قيمة اجتماعية والدين مزود المجتمع والفرد بالرؤية المشتركة من أجل تأكيد الذات وبمصدر غير محدود لألوان الثواب والعقاب على السلوك (مان، 1999، ص376) وعبر هذا المستوى تبرز وظيفة الضبط الاجتماعي للدين ضمن البناء الاجتماعي وكذا على الصعيد الفردي من ناحية تنميط السلوك، ومنه ما تعلق بالصحة والمرض والعلاج، فمن خلال المعطى الديني كمعطى أنثروبولوجي يفسر المرض لدى العديد من الجماعات غالبا ما تستند هذه الأخيرة الجائحات ومنها الأمراض الوبائية Les Maladies Epidémiques إلى

خلفيات دينية كغضب الآلهة، والأسلاف وما يدخل في نطاق خرق الطابو والسلوك الفردي والجماعي في علاقته بالمقدس والمدنس؛ فتذكر الأبحاث التي قام بها Alain Epelboin في سنوات الثمانيات على فيروس "ايبولا " Ebola الذي أصاب مجتمعات "ميتي" في جمهورية الكونغو(الزائير سابقا) أين خلف عددا كبيرا من الضحايا بالنسبة لهذا المرض تعددت تفسيرات الاجتماعية له وعلى سبيل المثال الصراعات التي كانت قائمة بين قبائل المجتمع "ميتي" نسبت إليها أسباب هذا المرض (محمد، 2010، ص17) – لعنة الأجداد– إلى جانب فئات اجتماعية أخرى نسبت المرض إلى غضب الآلهة الموجودة في الكنائس، فعند الحديث عن الشعور الديني كمؤسس ومفسر لمفهوم المرض فالحديث مقترن بالتجربة الدينية أين يمثل مفهوم التقوى Piète والتي يدل اصطلاحها على احترام الأحكام التي تدير العلاقات البشر مع الآلهة، ولكن أيضا مع الأقارب والأموات أين يكون الالتقاء بإرث العبادة (بياربونت و إيزار، 2000، ص287) عبر التقاليد الثقافية القديمة وهي لازالت ضمن تراثيات مختلف الشعوب تتحد الممارسات والشعائر ضمن مفهومات السلوك التعبدي وجدلية المقدس والمدنس لتشمل على الممارسات وشعائر (هبات، صلوات، نذور،قربان، حج ..الخ) مما تشمل عليه المزاولات الطقوسية والاحتفالات الفلكلورية والممارسات السحرية (الديانة البدائية) أين تتأسس الممارسة الاجتماعية بدافع الشعور الديني ضمن الكيان الاجتماعي الثقافي لتؤمن شعور السكينة والطمأنينة وتحارب مشاعر الخوف والقلق والاضطراب فتكون بذلك من ناحية وظائفيتها مؤمنة للصحة على الصعيد النفسي وقد ينسحب ذلك إلى البيولوجي.

ودائما في إطار الحديث من الأطر التصورية للمرض وضمن الأسباب الغير طبيعية تبرز إلى الجانب أعمال السحر ما يعرف بالكهانة.

الكهانة Divinations:

هي عملية اجتماعية يتم فيها استخدام فعالية التكهن لتحديد مناط اللوم واقتراح سبل العلاج من المرض أو النكبات الأخرى المسببة للضيق النفسي

فقد يلقى اللوم على عاتق السحر الذي يقوم به شخص ما على قيد الحياة أو على أعمال يقوم بها شبح أو أرواح غير بشرية، ويعتبر الطقس Le rite الذي تتم فيه شعائر العرافة، أحد السبل ليس فقط لتشخيص، وإنما أيضا استجلاب العدالة في المجتمعات أو الأوضاع التي ليس بها ناموس قانوني، وتكشف الكهانة باستخدامها للوسائل الغيبية Invisible signifie عن الفئة الاجتماعية المسئولة عن القوة ثم بعد ذلك عن العنصر الفريد المسئول عن النكبة، أما عن دور ووظيفة الكهانة، فتهتم بصورة أكبر باستعادة الانسجام والتوافق أكثر من اهتمامها باقتضاء الثواب والعقاب، أما عن وسائلها المستخدمة فهي بين الموضوعية والذاتية ليستخدم الكاهن في الأول بأساليب ميكانيكية Méthodes mécaniques مستعينا بالقواقع Escargots أو العصي Des bâtons ويترجم الشكل المرسوم أمامه في عبارات من المعرفة المحلية Savoir local يعمل الكاهن Le prêtre فيها على كشف المشكلة وأسبابها بملاحظة سلوك مثاله حشرة وهي تزحف على غصن الشجرة أو يفحص أحشاء حيوان ميت، مثل الدجاجة المستخدمة كوسيط الوحي لدى القبائل الأزندى وهو ما أوضحه إيفنز بريتشارد Evans–Pritchard، أما الكهانة عبر الوسائل الذاتية، فهي تتم عن طريق الوساطة الروحية Médiation spiritue ، حيث تمتلك الروح العرافLe Chaman ويتم التشاور بينهما خلال جلبة استحضار الأرواح (مان، 1999، ص303)، وكذلك في طقوس أخرى مثل الحضرة والزردة * ليتم اختزال وضع الأزمة إلى عدد المبادئ والعوامل التي يمكن للكاهن من خلالها التوصل إلى قرار يتوافق وأراء الأغلبية من الأشخاص الحاضرين في جلسة الكهانة، ويتم حدوث هذا ليس فقط من خلال خبرة الكاهن الخاصة بل أيضا من خلال خبرة المجتمع المتوحد في الرموز متعددة الدلالة والممثلة لتصورات مجسدة للعلاقات الاجتماعية.

والحديث عن الكهانة يقود الحديث عن التنجيم **Divination** فهما يتطابقان تقريبا من ناحية المضمون ويختلفان في تسميته.

* مصطلح تراثي ينتمي للثقافة المحلية ليعبر عن مظاهر احتفالي يقام عادة عند الأضرحة المنسوبة لأحد الأولياء ، لتكون بذلك الزردة ما يسمى "البردة " كقصائد تحمل معاني رمزية ، إلى جانب استعمال الدف والبخور والروائح والطبخ والذبح ، إشعال الشموع ونذور أخرى وحضور غفير الأشخاص الذين يجمعهم معتقد "التمسح بالأضرحة ، والدعاء عند الولي الصالح) رغبة في البركة وحصول المأمول.

4- مدخل التنجيم : Introduction de l'astrologie

لفظة تنجيم تطلق على نظام تأويل مقونن ثقافيا للوقائع الماضية والحاضرة والمستقبلية وعلى مجمل الوسائل التي يستخدمها العراف، ويرتبط التنجيم بالممارسات العلاجية عندما يشخص أعراض مصيبة أو مرض، ويمكن أن تتعلق هذه الأحداث بالدوائر الفردية (أحلامRêve، إشارات شخصية) أو من جهة أخرى بعالم القرارات الجماعة التي تهتم بالجماعة برمتها (نشاطات اقتصادية، نزاعات، اختيار الملك هكذا يمارس التنجيم في الوقائع الاستثنائية و غير المتوقعة كما في الأحداث اليومية والاعتيادية ..فالتنجيم عقلنه ثقافية Rationalisation culturelleللسببيات المرتبطة بنظام الكون والبشر. عرفته مختلف الشعوب والثقافات القديمة وقد يتعايش مع أنماط التفكير الحديثة فكان التنجيم الاستدلالي (تفسير الأحلام، دراسة سمات الوجه، علم الفلك). مستندا إلى النشاطات العادية، وتمتلك كل المجتمعات مؤسسات تنجيم يمكن لعدة أنواع منها أن تتواجد معا داخل المجمع (بياربونت و إيزار، 2000، ص408).

أما عن تقنيات التنجيم فتتباين منها: ضرب الرمل Frappez le sable، فحص أحشاء الأضحية Examen des entrailles de l'animal sacrificielبعد القربان، مراقبة الظواهر الطبيعية، التصرفات، الرموز Symboles

ومن أنواع التنجيم تجد التنجيم بالأرقام L'astrologie en chiffres (مثل الين واليانغ) الصيني، كذلك من تقنياته تأويل كلمات الأشخاص ملهمين (وحي Révélation ، نبوءة Prophétie، مس Tact) كما قد ينسب أصل الكتابة إلى أشكال المبنية على تأويل إشارات الخطوط مثل التنجيم الصينيAstrologie chinoiseعبر قشور السلحفاة Carapaces de tortue(بياربونت و إيزار، 2000، ص408)

والتحليل الأنثربولوجي يعنى برصد التنجيم كسمة ضمن مركب الثقافة لكونه داخل في إطار علوم مفسرة لنشأة الكون الذي تنتمي إليه المجتمعات وتساهم في صياغته، وهو ما يساهم

في فهم الإنسان في أبعاد رمزية وروحية، وغالبا ما تجد التنجيم مرتبط بالسحر ارتباط وثيق، أين ترتكز مفهوم نظام التنجيم وخطابه على إدراك العالم يمكن وصفه بـالسحري بالمعنى الذي كان مارسيل موس يعرف به السحر ك: نظام استقراءات مسبقة، حيث تزود الحركات والكلمات والأشياء والكائنات المرئية والغير المرئية والمؤثرات المختلفة بعلاقات قوية (دلالية، رمزية، تطبيقية ذرائعية) محفزة تحت ضغط الحاجة وتختلف تقنيات التنجيم من ثقافة إلى أخرى كما تجدر الإشارة إلى وجود العديد من الملامح العابرة للثقافات ناتجة عن الانتشار وأبرز التصنيفات والأشد اكتمالا ذلك في تصنيف تقنيات التنجيم ما يورده ج لوسكويزيك (1973)، الذي يسمح بتغطية المجال التنجيمي عبر المكان والزمان ومن الكثير من التقاطعات أو الحذف ليميز خمس مجموعات من التقنيات (النبوءة: وهي الشكل الأكثر صفاء للتنجيم الحسي في حالة اليقظة، والتنجيم الحدسي الهلوسيAstrologie intuitive halos (بياربونت و إيزار، 2000، ص408).

يتناول موارد معينة، رعدة واستحواذ، أوبتثبيت شيء لماع "أو أيضا بالنوم، كذلك التنجيم الحسابي عبر وسائل علمية مثل علم ضرب الرمل العربي والإغريقي، أو علم الفلك وسائل المراقبة، وضع أو حركة الكائنات الحية، وكذلك الأشياء والمواد والتي يعد التأثير الإشعاعي للأحجار الكريمة مثلا واحد منها، وأخيرا آليات الخط والتنبؤ، التي تفسر بالرجوع إلى جداول يكتبها أو يتداولها التراث (بياربونت و إيزار، 2000، ص 408).

فكانت هذه المداخل أو النماذج ضمن الإطار التصوري السوسيوانثربولوجي المتضمنة لأفهومات المرض والعلاج ضمن مجال الطب الروحي أو ما فوق الطبيعي أو الغامض كما تصطلح عليه بعض الكتابات أما مجاله المتعلق بالطب الأيكوبسيكولوجي فيعتمد هو الآخر نماذج تفسيرية كالتالي :

رابعا: النماذج التفسيرية السوسيوأنثربولوجية للعوامل السيكولوجية والبيئية للصحة والمرض

Modèles explicatifs socioanthropologique des facteurs psychologiques et environnementaux de la santé et de la maladie

لا يكون بحال من الأحوال عند العرض للصحة والمرض تجاهل المحددات السوسيوديمغرافية أو البيئية وما تحيل إليه من أبعاد ثقافية؛ فكما تعرض الأدبيات السوسيولوجية والانثربولوجية فالإنتاج الإجتماعي للمرض ليس خرافة بل حقيقة وواقع La production sociale de la maladie n'est pas un mythe mai bien une Réalité (Jea-François, 2006, p. 06)

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى اتساع المفهوم؛ مفهوم الصحة لُيعالج ضمن تعدد الأبعاد وهو ما تضمنته إشارة فرويد في حديثه عن حالات القلق والأمراض والانحرافات المزاجية بالحضارة De Malais dans la civilisation والتي تتشكل غالبا ضمن سياق علائقي من منطلق كون الحالة المرضية L'Etat في طبيعتها حركة علائقية Dynamique relationnelle (ODIER, 2014, p. 08)

أين يُحال فهم الصحة والمرض ضمن المدى الأوسع للأيكولوجيا الطبيعية والبسيكولوجية ضمن دائرة عيش الإنسان وكما تطرح المقاربة الأنثربولوجية في تفاعلية الإنسان مع البيئة L'être humain interagit avec son environnement matériel est semblables (JEULIN, 2014, p. 29)

1- مدخل الكيفيات المتضادة أو نظرية الساخن والبارد : (نظرية الأضداد) : Introduction aux antonymes / Théorie du chaud et du froid

يُعد هذا المدخل مرتكزا متداولا لقضايا الصحة والمرض والعلاج الذي دُرس بدقة وظل مادة قائمة للجدل، حيث أن مفهوم تضاد الخواص التي تؤثر في الصحة ساد في أمريكا اللاتينية وفي أنماط أخرى من الطب الشعبي في الولايات المتحدة وقديما كالتوازن بين الساخن والبارد والرطوبة والجفاف، وعموما يتكون هذا النسق من أربعة متضادات هي الساخن والبارد والرطوبة والجفاف فالتوازن بينهما يؤمن الصحة وزيادة أحدهما يولد الاختلال المحدث للمرض. وهذا المدخل له ارتباط بعلم التغذية تحديد معرفة خواص لمواد والعناصر الغذائية في طبيعتها وارتباطها بالخصائص المذكورة وكمثال موضح يذكر الوصف الاثنغرافي الطب الشعبي المتعلق بالممارسات الخاصة بالولادة (شكري، 2001، ص 99) حيث يستخدم النباتات التي لها كيفية

ساخنة أو باردة في العمليات الفسيولوجية على سبيل المثال لجعل الرحم يفرغ محتوياته، أو لحجز محتوياته لمنع إسقاط الحمل من النباتات المستعملة في هذا الشأن (القرفة Cannelle، الحلبة Trigonelleالشمر Trousser ،الجرجير ..الخ) أي أن مفاهيم السخونة والبرودة تعد عوامل مساعدة لتحقيق الصحة، لتكون صحة الجسم البشري مزيج أو خليط متوازن بين الكيفيات الساخنة أو البارد، والداء سوف يحدث إذا ما كان هناك إسراف أو إفراط في تناول الأطعمة الساخنة أو الباردة، ومصطلحات الساخن والبارد تنطبق على الغذاء والأمراض والعلاج ولابد هنا من توضيح أن هذه المصطلحات لا تشير إلى درجة حرارة الطعام بل إلى كيفيته كأصل الشيء لونه، قيمته، الغذائية ومثاله كون أبناء بورتيريكو بنيويورك يعتبرون الموز،القصب السكري وجوز الهند ،من الأطعمة الباردة، بينما الشكولاطة والثوم والمشروبات الكحولية، والذرة وجبات ساخنة، ومن العلل التي تصنف أنها باردة التهاب المفاصل، ابرد وشكاوي المعدة يجب أن تعالج بالأطعمة الساخنة، مقابل الإمساك والإسهال والانقباضات المعوية التي تتطلب العلاج بالمواد الباردة (شكري، 2001، ص 100)

2- التوازن الغذائي كنموذج تفسيري: L'équilibre nutritionnel comme modèle explicatif

الغذاء والتغذية Alimentation et nutrition عبر هذا المدخل تتمحور العملية العلاجية على ثقافة الغذاء من خلال الإدراك الايجابي كون التغذية الجيدة والغذاء المتوازن يساعدان في المحافظة على الصحة، ويعد هذا المرتكز أساس الاعتقاد في أغلب أساليب الطب البديل Médecine alternative ; ونكر الغذاء الوافر (كمية كبيرة) واستبداله بغذاء غني بالمنتجات الطبيعية الكاملة، ودائما النباتي Botanique هو الأقرب (التقليدي، صفحة 04) في شهادات مستخلصة للذين تم علاجهم يصرح كون بعض الأغذية المحددة تعزز من المناعة ضد الأورام أو تعزز من صحة القلب والأوعية كما يطرح سند آخر مفاد أن هناك عناصر غذائية محددة أو فيتامينات لأمراض محددة أو لطول العمر (تحسين نوعية الحياة) وتمتد سلسلة الفوائد عبر هذا النموذج من تعزيز المكملات الغذائية ما بعد المتناول الغذائي الموصى به إلى تجاهل إضافة الغذاء محدد لعلاج أمراض محددة، وعبر نسق الطب البديل تكون أكثر التدخلات الغذائية

المؤكدة بواسطة المعالجين مقتصدة ومعقولة، ويوجد الكثير من خبراء واختصاصي التغذية المرخصين في هذا المجال كمصدر للنصائح للأطباء والمرضى، بخصوص التغذية والضبط الغذائي LA Régulation nutritionnel (التقليدي، ص 04)

3-نموذج الطب البيئي Environnemental médicine:

يكون معرض الحديث هنا عن العوامل البيئية التي تواجه الفرد ضمن معيشه اليومي في علاقتها بالصحة والمرض بتباين وعي الأفراد تجاه تأثير العوامل البيئية من ناحية طرق التكيف وما يُحيل إليه من سلوك وقائي لكن تظل الحقيقة القائمة هي وجود الأثر الفاعل للعوامل البيئية في حياة الفرد والجماعة وبالتالي حالات الصحة والمرض وتوضيحا بالإمكان الإشارة إلى ما يعرف بفرط الحساسية البيئيةHypersensibilités Environnementales كمركب بيوأيكولوجي بالأساس ترتبط به عديد الحالات المرضية المترجمة في عدد من العلامات الجسمانية المتنوعةsymptômes somatiques variés كالصداع النصفي des migraines كذلك آلام متعددة ترجع لاضطرابات النوم troubles du sommeil كذلك اضطرابات الإدراك des troubles cognitifs والراجعة بالأساس لعوامل بيئية، كفرط الحساسية تجاه المواد الكيميائية بالتغذية أو حتى المواد التجميلية كذلك تأثير مجالات الكهرومغناطيسية Les champs électromagnétiquesالمرتبطة بوسائل استعمال يومي كالهاتف،والانترنيت الخ (Dieudonne, 2017, p. 30)

يطرح فكرة كون المرض يحدث نتيجة لمجموعة واسعة من المواد السامّة Intoxicante أو الضارة، ومن بينها الأطعمة الضارة الغير منتظمة، وخاصة المصنعة Les aliments transformés ،وكذا الكيميائيات produits chimiques الموجودة في الهواء والماء، والغذاء، منه تتبني الثقافة العلاجية على التخلص من المصادر البيئية الضارة التي يمكن التحكم فيها (النظافة الشخصيةL’hygiène personnelle ،نظافة المحيط propreté des océans) كل ما يرتبط بالوعي الجيد لثقافة التكيف culture d’adaptation وما يرتبط بالإدراك الإيجابي لسبل العيش Modes de vieوالدراسات البحثية تؤيد استخدام الطب البيئي في علاج الحساسية Allergies، التهاب المفاصل Arthrite الربو الشعبي L’asthme

bronchique نوبات الذعر Crises de panique ، ضعف الانتباه Mauvaise attention الأكزيما الجلدية Eczéma cutané ، الإرهاقEpuisement ، وحالات النشاط الزائد Cas d'activité excessive(أمينة، ص 84)

4- نموذج العلاج بالطاقة: Modèle de guérison énergétique

يقوم على فكرة الحقل الحيوي والمجال الكهرومغناطيسي يوصف الحقل الحيوي Bio-champأو العلاج بالطاقة بواسطة مؤيديه بأنه "واحد من أقدم أشكال العلاج المعروفة للبشرية وتشتغل النظريات المرتبطة بهذه المهنة بتحويل الطاقة من المعالج إلى المريض بطرق غير معروفة سواء بوجود فارق للطبيعة أو بتأثير في حقول الطاقة في الجسم لتحرير الطاقة السلبية من المريض وبعث الطاقة الإيجابية من المعالج إليه، ذلك أن حقل الطاقة بالجسم بحسب طبيعته ترتب حالة الوظائف الحيوية ومستوى النشاط أو الخمود، فإذا كانت الطاقة في الجسم سلبية فإن الإنسان يعجز عن ممارسة الوظائف الحيوية Fonctions vitales بالتالي يتعرض لأمراض عديدة، وفي هذه الحال يحتاج إلى العلاج بالطاقة الكهرومغناطيسية Fonctions vitales والتي تعني انبعاث قوة كهرومغناطيسية عجيبة من المعالج إلى المريض وهذه الطاقة عبارة عن طاقة حيوية Energie vitale أو إيجابية تساعد على الشفاء (watan، 2023)

لقد تم استخدام أكثر من خمسة وعشرون مصطلح في مختلف الثقافات لوصف هذه القوة الحية force Vital،وأدخل ممارسي الحقل الحيوي في العلاج وتعزيز أساليبهم لتفيد في الإجهاد والتحسن العام في الصحة وتخفيف الألم وتعجيل شفاء الجروح والكسور العظمية Fractures osseuses وتحسين الهضم والشهية Améliorer la digestion et l'appétit ومختلف الحالات العاطفية Divers états émotionnels وعلاج حالات لأمراض الأكل؛ ومتلازمة تهيج الأمعاء imitable Syndrome du colon ومتلازمة ما قبل الطمث Syndrome prémenstruel ثم تشخيص بعض الحالات الاستثنائية بواسطة ممارسي العلاج بالطاقة مثل التوتر المجتمعي Tension communautaireوالطاقة المكتظة Energie surpeuplée والمفترض عند تحريرها أن تؤدي إلى تحسين الصحة ويسمى هذا العلاج عندما يمارس من طرف الممرضات Infirmières بالمستشفيات المتبنية لمناهج الطب البديل Médecine

alternative manageباللمسة العلاجية La toucher Thérapeutique (التقليدي، ص 10) ويتضمن تحريك اليدين فوق (وليس بالملامسة المباشرة) جسم المريض سواء لخلق حالة عائمة من الصحة بواسطة تعزيز تدفق الطاقة" Flux d'énergie في الشخص، أو بإطلاق التوتر المجتمعي وإحداث الاتزان والتناغم Equilibre et harmonie ويرتكز الطب الشعبي على أطروحات هذا النموذج خاصة في طرحه لفكرة الطاقة وما لهذه الأخيرة من علاقة بما يسمى الأجسام الأثيريةCorps* esthétiquesوتحديدا هالة الإنسانAura Humain أو ما يسمى بالمضاعف الأثيري (الموسوعي، 2002، ص 10) Multiplicateur éthéré وحول هذه الفكرة تتأس العديد من الممارسات العلاجية خاصة الممتدة ضمن الأبعاد الروحية Dimension spirituellesفتحتويها الثقافة العلاجية الهندية في طب والأيروفيدا Médicament irofida، وتحويها تمرينات اليوغا في الطب الصيني Médecine chinoise،كما ترتبط بها (فكرة القوة الحيوية والأجسام الأثيرية) الفوائد العلاجية ضمن الممارسات التعبدية في الطب النبوي Médecine prophétique العلاج المتضمن في الصلاة La prièreالوضوء Ablution،الرقية الشرعيةRoquia الخ) واتضحت الفوائد العلاجية لهذا التقليد العلاجي الممتد ضمن التقاليد العلاجية في الثقافات والحضارات الكلاسيكية لتُحييه اليوم العلوم الحديثة على رأسها علم الريفليكسولوجي Réflexologie المعروف بدائرة الطب البديل بالطب الانعكاسي والذي يرجع إلى الطب الفرعوني القديم La médecine pharaonique antique وأول من استخدمه الملك زوسر على يد الكاهن" انكماحور"كما تأسس عليه (مفهوم الطاقة وتحريرها) ثقافة العلاج بالتدليك أو العلاج التدليكي Massage thérapeutique بالزيوت الطبيعية العطرية الطبية Huiles aromatiques naturelles ويتأسس عليه العلاج بالأحجار الكريمة Les pierres précieuses أين يستمد الجسم الذي يُعاني من اختلال في الطاقة من الطاقة الثانية بالحجر (إشعاعه البلوري Radiation Cristal) وهو أسلوب العلاج أو التداوي باالكربستال Cristalothérapie (الحسيني، 2007)

* تثبت الأبحاث المتقدمة في علوم الفلك ودوائر في العلم الحديث ، ومن خلال صرف آلاف الملايين والدولارات من الميزانية ، والتي تخصصها و.م . أ من اختراع كاميرات متطورة تمكنت من تصوير (الهالة) ، أو الكرة الكهرومغناطيسية لهائلة ، حول كوكب المشتري ، وبقع في برنامج "مؤسسة فضائية مشروع تصوير الكرة الكهرومغناطيسية حول كوكب الأرض خلال السنتين 2001 – 2002 ..وتسعى الأبحاث جادة لتصوير ودراسة (هالة الإنسان) أو ما يسمى بالمضاعف الأثيري .

بالتالي فهذا النموذج يؤكد على مفهوم الطاقة ليتشكل الأسلوب العلاجي حول تقوية مسارات الطاقة والعمل على تدفقها بشكل متزن

5- مرتكز تدخلات الجسم – العقل : Interventions corporelles

تختلف الرؤية التفسيرية للصحة والمرض والمرتكزة على النموذج البيولوجي المتمحورة حول المرض La maladie والجسد.Le Corp وهو معتمد الطب الرسمي La médecine officielle أو الغربي Occidental؛عن الرؤية التفسيرية المرتكزة على نماذج الاتجاه السوسيوأنثربولوجي المتمحورة حول المريض Le patient وفق التصور السوسيوانثربولوجي أي بالنظر إليه إنسان تتعدد أبعاده من الجسد إلى النفس والعقل والروح؛ كما تركز على فهم المرض بإحالته إلى شعور الألم و المعاناة La Douleur et la souffrance الحالة الشعورية L'état Émotionnelالتي يعيشها المريض عبر حياته الشخصية وبيئته الإجتماعية.

وعبر تمايز الإطار التصوري ضمن الاتجاه السوسيوانثربولوجي وطابعه التكامل والشمول في تناول الحالة المرضية L'états morbide يتسع الوجه التفسيري للمشكلات الصحية Problèmes de santé بما يتماشى وخصائص الطب البشري La médecine humine والتركيب المعقد للإنسان la structure complexe de l'humain فالمرض قبل كونه حدثا بيولوجيا Evénement biologique حالة شعورية ومحصلة لمنظومة تفاعلية تشترك عبرها عديد العوامل البيولوجية السيكولوجية والعقلية والروحية والايكولوجية الطبيعية السوسيوثقافية ويطرح النموذج السوسيوأنثربولوجي اعتماد تصوري مفاده قراءة الصحة والمرض والعلاج ضمن المنظور متعدد الأبعادmultidimensionnelle Perspective وفق مفهوم الإنسان الشبكة Réseau humain كأن يُعنى بقراءة الإنسان ضمن فضائه التفاعلي البسيكوفيزيقي ضمن معاشه اليومي Son gagne-pain quotidien أين يمكن كشف العديد من أوجه الخلل الصحي Déséquilibre de santé بالوقوف عن مفهوم الهالة Aura وتوصيفها يتمحور حول كونها تمثل مجال نابض متوهج من الطاقة يحيط بالجسم، وهي طاقة حيوية مغناطيسية (watan، 2023)، ولهذه الهالة غطاء أو غلاف بالجسم متأثر بعديد الممارسات التي تتخلل الحياة اليومية وكذا العوامل البيئية المحيطة، وتركيبها وطبيعتها وعملها مرتبط بحالة

الجسم عقل Etats corps–esprit –التي عبرها يقوم ويتأسس وفق عملية تفاعلية بيوبسيكولوجية جد معقدة الإحساس النفسي أو الروحي، ليتمحور في ظل هذا السياق من التأمل والفهم لواقع الوجود البشري وضمن اهتمام فهم المشكلة الصحية؛ الأسلوب العلاجي مستحدثا تقنية علاجية Technique thérapeutique مفادها تنشيط جهاز الشفاء الذاتي–d'auto récupération Réactivation dispositif المتواجد في الجسم لتوفير الإحساس النفسي أو الروحي بالتحسن لدى الأشخاص والشعور بالكمال حتى مواجهة تقدم المرض أوالحالة، والمرضى الذين يستفيدون من تطبيقات هذا الأسلوب هم المصابين بالسرطان، والآلام المزمنة، والحروق المشوهة للمنظر..والعديد من الحالات النفسية والعصبية وتخفيض الدم، والكلسترول والولادة المنزلية (التقليدي، ص 04)

لتشمل العلاجات، التأملMéditation،العلاج بالموسيقى Musicothérapie، الفن L'art الاسترخاء Relaxation العلاج النفسيPsychothérapie خاصة في مساعدة مرضى القلق والمرضى بسبب الإجهاد، وحظي التأمل بالاهتمام لأنه يزيد من الذكاء وطول العمر كما أفادت التخيلات المرشدة لتوليد الشفاء التلقائي من السرطان وتوالت الأبحاث وزادت المراجعات التقليدية مثل: النظر في تأثيرات المعتقدات الشخصية Croyances personnelles والقيم وما تعنيه في الصحة والمرض (التقليدي، ص 04)

أهم نتائج الدراسة :

بناء على أهمية الموضوع وانطلاقا من أهدافه المنشودة ووقوفا عند معالجة إشكاله المطروح تم التوصل لجملة النتائج التالية:

–من خلال المقاربة السوسيوأنثربولوجية تبرز طبيعة الظاهرة الصحية والمرضية كونها عبارة عن عملية إجتماعية وديناميةثقافية وما المظهر البيولوجي إلا أثرا لصيرورة عملية الحياة الاجتماعية بما تتضمنه من ميكانيزمات ثقافية محددة لخيارات العيش

–تحدد المقاربة السوسيوأنثربولوجية من خلال نماذجها التفسيرية المعروضة عبر هده الدراسة النظرية، الأثر البالغ للعوامل الإجتماعية و الثقافية في عملية تشكيل الصحي والمرضي ما

يترتب عليه ضرورة النظرة الشمولية بالممارسة الطبية في تناولها للصحة والمرض وتجاوز النهج الكلاسيكي القائم على التصورية الطبية الوضعية بالطب الغربي والتي تقف عند حدود الجسد؛ما يُقوقع الممارسة في حدود العامل البيولوجي

–تطرح الدراسة من خلال موضوعها والمعنى بالمنظور السوسيوأنثربولوجي للصحة والمرض بتباين نماذجه التفسيرية حقيقة للظاهرة البيولوجية خارج إطار الجسد المريض وقوامه وفق المنطق الوضعي "الإنسان– الآلة" لتُقوضه الرؤية السوسيوأنثربولوجية إلى إطار "الأنا المريضة" وقوامها وفق المنطق السوسيوأنثربولوجي "الإنسان–الذات" ما يحمل إلى تحول مرتكز الممارسة الطبية من "المرض" إلى "المريض"

–انفتاح الرؤية التفسيرية لموضوع الظاهرة الصحية والمرضية على الأبعاد الإجتماعية؛ الثقافية والرمزية من خلال المعالجة السوسيوأنثربولوجية، يحمل على إعطاء أهمية بالغة وقصوى للجوانب الذاتية عبر التجربة الصحية والمرضية ومنه الأخذ بعين الإعتبار للبعد الذاتي بالتجربة العلاجية بما يتماشى و طبيعة الحالة المرضية ضمن سياقها البيوبسيكوثقلفي

–الوقوف من خلال المعالجة السوسيوأنثربولوجية على أهمية تثمين عادات ثقافية مدعمة للثقافة الصحية العلاجية والوقائية كالممارسات الغذائية المشجعة العودة للطبيعة وكذا الممارسات المندرجة ضمن التراث العلاجي كطب العظام،والتجبير،الحجامة الحمامات أو العلاج بالمياه، العلاج بالطاقة وتندرج في سياقه بعض الممارسات الروحية المرتبطة بمعتقدات الشعوب كالصلاة الشافية وفاعلية الطاقة الروحية في الحقل الكهرومغناطيسي ضمن فضاء عيش الحي البشري

–تبرز المقاربة السوسيوأنثربولوجية للظاهرة الصحية والمرضية الأهمية البالغة لكل من العامل النفسي والعقلي والبيئي بوضع الصحة والاعتلال؛ أين يعد المظهر الباطولوجي الجسدي أو البيولوجي ما هو إلا نتيجة للحالة النفسية أو العقلية أو الممارسات الثقافية البيئية بمحيط الفرد، أين يبرز أثر العامل النفسي العقلي في نمط الشخصية وطريقة التفاعل مع أحداث الحياة فغالبا ما تكون الشخصية ذات النمط الانفعالي الحاد ونمط التفكير السلبي عرضة لنوع من الأمراض كالسكري والضغط والقلب والصدفية...الخ ،أما عن العامل البيئي فغالبا تكون ضوضاء المدينة و تلوث المحيط وطبيعة التغذية وطريقتها، وطبيعة السكن المعيشي ...الخ من العوامل البيئية المرتبطة بصورة ونمط عيش الإنسان الفاعلة في صحته ومرضه

-كما أبرزت المقاربة السوسيوأنثربولوجية العلاقة الوطيدة للذهنية الفردية والجماعية لدى الشعوب وحوادث الصحة والمرض ،من خلال وقوفها على أبعاد بنيوية يشتمل عليها النظام التصوري كباعث للمخيال الجماعي والفردي كموجه للسلوك الصحي والمرضي ومنه العلاجي،ومن أبرز تلك الأبعاد البنيوية للنظام التصوري المعتقدات، كالدين والسحر والشعوذة والعين الشريرة والحسد والفأل الطيب، واللعنات، والمس والتلبس والجن، وكذا الاعتقاد في التمائم و التبرك بالأضرحة، روحانيات الممارسات الشعائرية كطقوس الصلاة والحج، والصوم، كذا معتقد التطير أو الطيرة ...الخ مما تشتمل عليه فولكلوريات الشعوب والجماعات

-من خلال ما تم توضيحه عبر المقاربة السوسيوأنثربولوجية من تعدد الأبعاد المشكلة للظاهرة الصحية والمرضية تبرز ضرورة الأخذ بالمنطق التعددي للعلاج مع الأخذ بعين الإعتبار لخصوصية الحالات المرضية وفقا للسمات الأنثربولوجية والسياق الإجتماعي وكذا الخبرات الشخصية للحالة وهي عوامل مساهمة غفي تحقيق الفاعلية العلاجية وتحصيل هدف الشفاء

الخاتمة:

تبرز من خلال هذه الورقة العلمية والمتناولة لبعض النماذج التفسيرية أو المقاربات الفكرية لموضوع الصحة وما تثيره من إشكالات المرض والعلاج؛ الأهمية البالغة والقصوى للمداخل السوسيولوجية الأنثربولوحية في فهمها وقراءتها للصحي أو السوي والمرضي Le normale et pathologique وتحديدا الاتجاه السوسيوانثربولوجي بما يُحيل إليه من أبعاد اجتماعية وثقافية ورمزية تستوعب بدورها المادي البيولوجي والسيكولوجي العقلي والوجداني والروحي كعوامل متداخلة في مركب الصحة والمرض، فواقعة الصحة تثير إشكالات ترجع للاجتماعي والثقافي قبل البيولوجي، بل يُعد البيولوجي غالبا نتيجة لشكل من العمليات الإجتماعية والثقافية Processus sociaux et culturels كأن تكون الصحة مؤشرا ونتيجة لأسلوب الحياة Style de vie وطريقة العيش La façon de vive والحالة الصحية أو المرضية تظل قائمة ضمن عملية الحياة الإجتماعية Le processus de la vie social ما يستلزم ضرورة استيعاب الطبيعة الإجتماعية والثقافية لظاهرة الصحة بمعالجتها ضمن المعادلة السوسيوثقافية للمجتمع هذا من جهة ومن ناحية أخرى ضرورة استيعابها ضمن المعطى الأنثربولوجي Donnée anthropologique خاصة أمام ما يُحيل إليه وضع غياب الصحة من مثول

للمرض وما يتضمنه هذا الأخير من عنصر المعاناة والتي ترتبط بالتجربة الذاتية للمريض الأمر الذي يستلزم المدخل الأنثربولوجي في الطرح والمعالجة؛ كما يذهب في هذا الشأن الدكتور صلاح الدين لعريني كون الصحة إلى جانب ظواهر أخرى مرتبطة بالجسد كالمرض والإعاقة والموت ؛وهي غالبا وقائع تتلازم في الحدوث؛ فهي مثيرة للمخيال الجمعي L'imagination collective ولا تتطلب الكثير من الوقت لكي ندرك تداخل البيولوجي فيها مع الاجتماعي والثقافي والرمزي والديني (التنمية، 2020)

والدكتور لعريني على صواب؛ فالجسد بوقائعه وما يرتبط به من ظواهر بما فيها الصحة على تفاعل بعالمه الإجتماعي والثقافي الرمزي الحقيقة التي تستنفر المجهود البحثي لتوسيع نطاق معالجة وفهم ظاهرة الصحة بما هي حقيقة الجسد كما يذهب إليه الفيلسوف أرسطو وهو ما حاولت المقاربة السوسيوأنثربولوجية إتاحته وتأمل الجهود البحثية تطويره من أجل خدمة الإنسان.

References:

Ahluwalia, R., & Méchin, B. (1979). Traditional Medicine in Zaire. Centre for International Development Research, Health Service. Ottawa: Department of Higher Education.

Amina Latrash. (undated). Medical Herbs: Practices and Perceptions, An Anthropological Approach. Constantine.

Ayman Al-Husseini. (2007). The Wonders of Healing with Crystals: Latest Trends in Alternative Medicine for Revitalizing and Treating with Gemstones. Cairo: Dar Al-Tala'i Publishing and Distribution.

Development Ahead. (2020). Retrieved from 4tanmia.com: https://www.4tanmia.com

Dieudonne, M. (2017). A Pathogenic Society? Environmental hypersensitivities through the prism of cognitive sociology. University of Lyon, France.

Dufrisne, J. (2006). Health. Institution of Health and Disease, Quebec: University of Quebec.

Hacéne meranie. (No date). At the crossroads of anthropology and sociology: "socio-anthropology".

Jean-François. (2006). Types of Societies Types of Morbidity: the socio-genesis of diseases. Institution of Health and Disease, Quebec.

JEULIN, J.-C. (2014, June 17). Anthropological approach to the development of skills of massage-physiotherapists. Design of a computer environment for learning in massage-physiotherapy. 29. GRADUATE SCHOOL COGNITION, LANGUAGE, EDUCATION, MARSEILLE.

Khmoudi Jamal Mohammed. (2010). Representations of Algerian Society: A Medical Anthropological Approach to Cancer, Tlemcen University Hospital Center. Popular Culture, Tlemcen.

Michel Mann. (1999). Encyclopedia of Social Sciences. (Translated by Mohamed Osman) Alexandria

Micolier, E. (2015). An aspect of medical plurality in popular China; the practices of qigong, therapeutic dimension, social dimension. University 1995 French.

Mohamed Al-Johari, Aliaa Shukri. (2001). Medical Sociology. Cairo.

Mohamed Al-Johari, and Aliaa Shukri. (2001). Medical Sociology. Cairo.

ODIER, N. (2014, May 28). Contributions of social sciences to the understanding of addictions: a public health issue? 05. Graduate School of Life and Health Sciences Marseille, Marseille.

Pierpont and Michel Izard. (2000). Dictionary of Anthropology.

Taqi bin Hassan Al-Mawsooi. (2002). Medical Treatments in Magical Herbs (1st edition). Beirut: Dar Al-Mahajja Al-Bayda.

Trombly, M.-A. (2006). Health as a Global Phenomenon. Quebec, Canada: Laval University.

van der veen Lolce J. Diseases Remedies And Language In Central Africa.

watan. (14 08, 2023). Retrieved from http. elraad . com . ara.

World Health Organization Report on Traditional Folk Medicine. World Health Organization Strategy for Traditional Medicine 2012-2025.

Zakaria Al-Ibrahimi. (undated). Transits. Retrieved January 30, 2024, from maabe: http://maaber.50megs.com